ضمير الفصل وتعريف المسند في القرآن الكريم ومقصدهما البلاغي

د. إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر
أستاذ محاضر بقسم اللغة والأدب العربي / جامعة قاصدي مرباح ورقلة

Abstract

The focus of this article is on the combination of the decisive pronoun and the subject definition, their separation and their benefits. Then, we discuss the restriction of subject to predicate, of predicate sentence or its attribute to subject and of subject to apposition. Also, the position of decisive pronoun in the sentence and different illustration from Quran are presented here. Based on different resources which are cited at the end, it has been found that Quran contains many types of decisive pronoun.

إن ضمير الفصل وتعريف المسند طريقان من طرق يجتمعان تارة ويفترقان، فإن اجتمعا كان القصر بهما جميعا، وإن افترقا كان القصر بالذي ذكر. فإن «ال» التي يحلى بها الاسم ثلاث «ال» الجنسية، والاستغراقية، والعهدية. فالجنسية قد تفيد القصر وقد لا تفيد، وإفادتها قصر الخبر على المبتدأ من وجوه. يفيد التعريف بـ «ال» الجنسية قصر الجنس حقيقة، لعدم وجود معنى الجنس في غير ذالك المقصور عليه. نحو (زيد الأمير) إذا لم يكن هناك أمير سواه[1] يفيد القصر مبالغة لا حقيقة.

(1) دلائل الإعجاز، الجرجاني، 6/ 125.

وذلك كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني: «أن تقصر جنس المعنى على الخبر لفقدك المبالغة، وذلك قولك (زيد هو الجواد)، و(عمر هو الشجاع)، تريد أنه هو الكامل، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم، أن الجود أو الشجاعة لو توجد إلا فيه، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره، لقصوره عن أن يبلغ الكمال»[1].

أن نقصر الخبر على المبتدأ، لا باعتبار ذاته باعتبار القيد «من وصف أو حال أو ظرف»[2].

أما عن الضمير المنفصل فهو ما فصل بين المبتدأ أو الخبر كما يسميه البصريون فصلا، وقد سماه الكوفيون عمادا، ويكون القصر بشروط: أن يكون مبتدأ في الحال أو في الأصل. وأن يكون معرفة وأجاز الفراء وهشام ومن تابعهما من الكوفيين كونه نكرة.

وهذه الشروط متعلقة بما قبله. أما الشروط المتعلقة بما بعده:

- أن يكون خبرا للمبتدأ في الحال أو في الأصل وكونه معرفة أو كالمعرفة.

وأما الشروط المتعلقة به: (أن يكون بصفة المرفوع) و (أن يطابق ما قبله)[3].

«أن يكون بين المبتدأ وخبره أو ما هو داخل على المبتدأ وخبره من الأفعال والحروف إن وأخواتها وظن وأخواتها»[4].

وقد ورد القصر بضمير الفصل وتعريف المسند مفترقان ومجتمعان في القرآن الكريم مائتان وأربعة وثلاثون مرة.

(1) نفسه والصفحة.

(2) ينظر شروح التلخيص، مواهب الفتاح، 2/ 101.

(3) المغني، ابن هشام 2/ 495.

(4) شرح المفصل، ابن يعيش، 3/ 110.

قصر المبتدأ على الخبر

النمط: اسم اشارة مبتدأ + جار ومجرور +جار ومجرور + اسم إشارة + خبر.

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: الآية 5].

إعراب الجملة

أولاً: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، **الكاف**: حرف خطاب، **على هدى**: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الألف للتعذر، **من رب**: جار ومجرور متعلق نعت لـ «هدى» و **الهاء**: ضمير متصل في محل جر مضاف إليه والميم لجمع الذكور **الواو**: عاطفة، أولئك مثل الأول، **هم**: ضمير لا محل له، **المفلحون**: خبر المبتدأ «أوليك» وعلامة الرفع الواو ولأنه جمع مذكر السالم.

استفتح الله عز وجل الآية الكريمة باسم إشارة ليدل على قوم هذه خصالهم سبقت في الحديث الذي قبل هذا.

ونتيجة ما انطوت عليه أخلاقهم وسرائرهم فهم على هدى من ربهم وصف أعظم تشرئب له الأعناق، عطف سبحانه وتعالى على اسم الإشارة اسم إشارة ثاني ليظهر الفضل الذي يناله هؤلاء القوم «ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين»[1]. ليظهر عظيم الفضل، وعظيم ما يتلقاه هؤلاء القوم، فكان الأول الهدى نتيجته وكان الثاني نتيجته الفلاح. «أما الإفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مضايقا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون»[2]، فكان الجزاء من جنس العمل.

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود 1/ 183.

(2) نفسه والصفحة 2.

فالمتأمل في قوله تعالى «أولئك هم المفلحون» يتبين من أقوال البلاغيين أن هذه الجملة أفاد القصر باعتبار ضمير الفصل. فقال السكاكي: «إلى أنه لتخصيص المسند بالمسند إليه»[1].

كما أفادت ذلك بتعريف المسند كما قال الزمخشري ومعنى التعريف في «المفلحون» الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك، فاستخبرت من هو؟ فقيل زيد التائب، أي هو الذي أخبرت بتوبته[2].

ثم قال في التأكيد الخبر واختصاصه «فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقن بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى، وهي ذكر اسم الإشارة، وتكريره، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين «أولئك»»[3].

فاجتمع في الآية الكريمة أسلوب قصر عن طريق ضمير الفصل وعن طريق تعريف المسند فكانا متضافران لإبراز القصر وتأكيد على.

فكان المقصور عليه «**أولئك هم**» والمقصور هم «**المفلحون**» وقد جرى من باب قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا باعتبار غرضه، وهو قصر حقيقي تحقيقي باعتبار حال المخاطب.

فجاءت جملة القصر «أولئك هم المفلحون» مبدوءة باسم إشارة في محل رفع مبتدأ و عجز الجملة الخبر « المفلحون» و تخلل المبتدأ و الخبر ضمير الفعل (وهو أحد ضمائر الرفع المنفصلة يأتي لإزالة اللبس في الكلام، وقد اختلف النحاة في إعرابه، فقال الفريق الأول: أنه حرف فصل مبني على السكون لا محل له من الإعراب ويسمى

(1) السكاكي، المفتاح، 83.

(2) الكشاف، الزمخشري، 1/ 138، 149.

(3) نفسه 1/ 308.

ضمير العماء أو الدعامة)[1]. والقول الثاني (ضمير فصل مبنيا على السكون في محل رفع مبتدأ ثان)[2].

إذ المبتدأ الثاني وما بعده خبره جملة اسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول بـ «**أُولَئِكَ**» على القول الأول مبتدأ و «**هُمُ**» ضمير الفصل لا محل له من الاعراب و«**الْمُفْلِحُونَ**» خبر المبتدأ «**أُولَئِكَ**»

وعلى القول الثاني «**أُولَئِكَ**» مبتدأ «**هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» جملة اسمية في محل رفع خبر.

قصر المبتدأ على الخبر

النمط: إن + اسمها + ضمير فصل + خبر:

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: الآية 120].

إعراب الجملة

قل: فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، **إن**: حرف مشبه بالفعل هدى اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، **الله**: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور **هو**: ضمير فصل **الهدى**: خبر إن مرفوع و علامة رفعه الضمة المقدرة.

ذكر عز وجل ما تنطوي عليه سرائر أهل الكتاب من اليهود و النصارى اتجاه النبي ﷺ، فإنهم لا يرضون عليه ولو اتبع أهواءهم «لن نرضى عنك ولو أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا»[3]. فيأمر الله عز وجل نبيه بقوله «قل» «قل إن هدى الله هو الهدى» أي لا هدى إلا ما جاء من الله وما أنتم فيه إلا أهواء تتبعون، وهذا مصداق

(1) معجم الإعراب و الإملاء، أميل بديع يعقوب ، دار الشريفة ، باتنة ،الجزائر.

(2) الكشاف، الزمخشري، 1/ 308.

(3) الكشاف، الزمخشري، 1/ 308

لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ «أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع»[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ جملة أفادت القصر بطريقين ضمير الفصل وتعريف المسند، فكان المقصور «الهدى» والمقصور عليه «هدى الله هو» قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا باعتبار غرضه، وقصر قلب باعتبار حال المخاطب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ جملة اسمية مطلعها أحد النواسخ «إن» ثم لحقها اسمها الذي في محل نصب و هو مضاف واسم الجلالة مضاف إليه مجرور حدد شيوع الاسم ثم تلاه خبره الواقع في محل رفع و المحلى بالألف و اللام وتوسط اسمها و خبرها ضمير الفصل فاعتبار ما سبق هو إلى قولين:

القول الأول: «**هُدَى اللهَّ**» اسم إن + مضاف و «هو» ضمير فصل زائد لا محل له من الإعراب «الهدى» خبر إنَ مبنيا على السكون في محل رفع.

وعلى القول الثاني: فإن «**هُدَى**» اسم إن و «**هُوَ الْهُدَى**» جملة اسمية في محل رفع خبر «إن».

قال مصطفى الغلاييني (المعرف بالإضافة: هو اسم نكرة أضيف إلى واحد من المعارف السابق ذكرها.)[2]. فـ «**هُدَى**» ها هنا لما أضيف إلى الله كان معرفا .فجاءت جملة القصر بتعريف الطرفيين المسند و المسند إليه وضمير فكان تأكيدا على تأكيد.

قصر المبتدأ على الخبر

النمط: إن + اسمها ضمير + مبتدأ ضمير منفصل + خبر

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران 8].

– نفسه، و الصفحة 1

(2) مصطفى الغلاييني جامع الدروس العربية، 144.

إعراب الجملة

إن: حرف مشبه بالفعل الكاف ضمير في محل نصب اسم إن، **أنت** :ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، **الوهاب**: خبر المبتدأ مرفوع.

قال الله عز وجل على لسان الراسخين في العلم، دعائهم ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا** ﴾ أي ثبتنا، لأن القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء «وأرشدتنا لديك، أولا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا»[1].

فالله عز وجل هو الواهب و هو المنعم، و إنما تضافرت هاته المعاني و أعظم من ذلك في أسلوب قصر قال صاحب التحرير والتنوير: «والقصر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ للمبالغة، لأجل كمال الصفة فيه تعالى، لأن هبات الناس بالنسبة لما أفاض الله من الخيرات شيء لا يعبأ به، وفي الجملة تأكيد بإن، وبالجملة الاسمية، وبطريق القصر»[2].

فالمقصور «**الوهاب**» والمقصور عليه «أنت» و «**الكاف**» «**إنك**» قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

فجملة القصر في الآية الكريمة «**إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**» استفتحت بـ «إن» وهي للتوكيد والنصب وجاء بعدها بل متصل بها ضمير في محل نصب اسمها وعجز هذا المركب باعتبار الضمير المهمل خبرها كلمة مفردة (**الوهاب**)، و باعتبار عدم الإهمال خبر جملة اسمية في محل رفع خبر.

و «الكاف» المتصلة «بإن» هي (ضمير بارز للمخاطب المفرد يفتح للمذكر ويكسر للمؤنث)[3].

(1) الكشاف، الزمخشري، 413 ، 414.

(2) التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، 2/ 169،171.

(3) معجم الاعراب والإملاء أميل بديع يعقوب 324

فقد جاء ها هنا اسم لـ حرف النصب والتوكيد فكان مؤكدا و تضاعف التوكيد بضمير الفصل وتعريف المسند.

قصر المبتدأ على الخبر

النمط: اسم إشارة + مبتدأ ضمير منفصل + خبر

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية 8].

إعراب الجملة

الفاء: رابطة لجواب الشرط، **أولاء**: اسم مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ **الكاف**: حرف خطاب، **هم**: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثان، المفلحون: خبر، **هم**: مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر السالم.

في الآية الكريمة يبين الله عز وجل أن يوم القيامة تنصب الموازين فكل يوزن له، فمن ثقل ميزانه فاز ونجا قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة: الآية 6،7] وأما من خفت موازينه فهو في هلاك وخراب قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [سورة القارعة الآيات 8-11].

فقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ «والإتيان بالإشارة للتنبيه على أنهم إنما حصلوا الفلاح لأجل ثقل موازينهم، واختير اسم إشارة البعد تنبيها على البعد المعنوي الاعتباري»[1].

فجاء القصر بالضمير «هم» «وضمير الفصل لقصر الانحصار أي هم الذين انحصر فيهم تحقيق المفلحين، أي إن عملت جماعة تعرف بالمفلحين فهم هم»[2].

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 4/ 30.

(2) نفسه والصفحة.

فكان المقصور «**الفلاح**» والمقصور عليه «**أولئك هم**» قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

وإنما صب هذا المعنى في قالب جملة اسمية صدرها اسم الإشارة «**أُولَئِكَ**» الذي يشغل موقع محل مبتدأ مرفوع، ثم يليه ضمير الفصل (ليؤذن من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا نعت و هو يفيد الكلام ضربا من التوكيد)[1]، و «**الْمُفْلِحُونَ**» خبر مرفوع لـ «**أُولَئِكَ**» باعتبار إهمال الضمير وباعتبار إعماله خبرا له.

تعريف الجزأين

النمط: مبتدأ ضمير منفصل + اسم موصول + فعل ماضي +جار ومجرور + اسم موصول + جار ومجرور.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: الآية 29].

إعراب الجملة

هو: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، **الذي**: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر «هو»، **خلق**: فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا، **لكم**: جار و مجرور متعلق بالفعل «خلق» **ما**: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به في الأرض جار و مجرور متعلق بصلة الموصول «ما» المحذوفة.

سبق الآية التي بين أيدينا جملة من الآيات تبين حال المنافقين وفسق الضالين فأعقبها عز وجل باستفهام استنكاري (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا...) ثم أتبعها بأية مستهلة بضمير دال على عظمته، ليخبر سبحانه وتعالى يخبر ملفت لانتباههم ومربيا للهيبة في قلوبهم وخضوعهم له.

(1) جامع الدروس العربية مصطفى الغلاييني ص 121

فكان ذلك بتعريف المسند والمسند إليه، ليدل على عظيم الخلق واختصاصه به، فكان من باب قصر صفة على موصوف عن طريق تعريف الطرفين، فكانت الصفة الخلق وكان الموصوف الضمير «هو» العائد على الله قصرا حقيقيا باعتبار غرضه وتحقيقيا باعتبار حال المخاطب، أي لا خالق سواه.

فجاء صدر الجملة مبتدأ معرف بالإضمار «**هُوَ**» المبني على الفتح في محل رفع مبتدأ وعجزه الاسم الموصول «**الَّذِي**» المبني على السكون والذي يشغل موقع خبر مرفوع، ثم الجملة التي تليه صلة موصول لا محل لها من الإعراب فقد ورد المسند هاهنا معرف بالموصولية، وهو (ما يدل على معين بواسطة جملة تذكر بعده، وتسمى هذه الجملة صلة موصول).[1]

وهي لا محل لها من الإعراب، إنما ترد لتعيين اسم الموصول.

فالمسند معرف بالموصولية والمسند إليه معرف بالإضمار فكان هذا أسلوب قصر يؤكد أن لا خالق إلا الله ﷻ.

قصر المبتدأ على البدل

النمط: اسم إشارة + بدل + جار ومجرور

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: الآية 70].

إعراب الجملة

ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، **الكاف**: حرف خطاب الفضل بدل من مبتدأ «ذلك» أو صفة له مرفوع بالضمة، **من الله**: جار ومجرور للتعظيم في محل رفع لأنه متعلق بخبر المبتدأ.

في الآية الكريمة إخبار من الله عز وجل أن الفضل كله بيده والخير كله إليه، لا يدركه المرء بعمله ولكن بفضل ربه.

(1) جامع الدروس العربية مصطفى الغلاييني ، 124

قوله تعالى:﴿ **ذلك الفضل من الله**﴾ «أخبر تعالى أنهم لم ينالوا الدرجة بطاعتهم بل نالوها بفضل الله تعالى وكرمه»[1]. وهذا حال أهل الجنة وما أنعموا.

وإنما جاء هذا عن طريق أسلوب قصر لتعريف الجزأين، وتعريف الجزأين في قول تعالى: ﴿**ذلك الفضل من الله**﴾ «يفيد الحصر وهو حصرا ادعائي لأن فضل الله أنواع، وأصناف ولكنه أريد المبالغة في قوة هذا الفضل، فهو كقولهم أنت الرجل»[2]، فهو قصر صفة على موصوف، فأسم الإشارة مقصور عليه و «**الفضل**» مقصور، فكان الفضل هو الصفة واسم الإشارة هو الموصوف قصرا إضافيا باعتبار غرضه وقصرا ادعائيا باعتبار حال المخاطب، لأن فضل الله أنواع وأشكال لا تنحصر بعد وإحصاء، ولكن المراد المبالغة والتأكيد.

وقد جاء هذا التأكيد على متن جملة اسمية، مبتدأها اسم إشارة متبوع ببدل على قول وصفة على قول آخر، وجاء خبره شبه جملة، جار ومجرور. أو متعلق بخبر محذوف «**لِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهَّ**» فالجار والمجرور يتعلق بمحذوف في سبعة أحوال ذكرها الراجحي منها (أن يقَع خبرا لمحذوف) [3].

قصر المبتدأ على الخبر

النمط: فعل ماضي ناقص + مبتدأ ضمير منفصل + خبر + جار ومجرور.

قال تعالى:﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[المائدة: الآية117].

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 5/ 239.

(2) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 2/ 116.

(3) التطبيق النحوي عبده الراجحي ص365 دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت 1979.

إعراب الجملة

كان: فعل ماضي ناقص و**التاء**: ضمير متصل اسم كان، **أنت**: ضمير منفصل في محل رفع تأكيد للضمير في كنت، **الرقيب**: خبر «كنت»، **عليهم**: جار ومجرور متعلقان بالرقيب .

يخبر الله عز وجل في الآية الكريمة على لسان سيدنا عيسى أنه ما أخبر قومه إلا بما أوحى إليه ربه سبحانه بأمر العبادة والإخلاص لله عز وجل، فلقد كنت عليهم شهيد ما دامت فيهم، ولما رفع سيدنا عيسى عليه السلام من بين قومه بقيت رقابة الله عز وجل، وسيدنا عيسى شهيد عليهم ما دام بينهم ولما لم يكن ما كان عليهم ملاحظا ودلت الآية بقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ أي شاهد على القوم لما كان عيسى بينهم ولما رفع.

فتخلل الآية أسلوب قصر (كنت أنت الرقيب عليهم) «فجاء بضمير الفصل الدال على القصر، أي كنت أنت الرقيب لا أنا إذ لم يبقى بيني وبين الدنيا اتصال»[1].

فقد جاء القصر في قوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ قصر صفة على موصوف فالصفة «الرقيب» والموصوف الضمير «أنت»، المقصور عليه هو أنت والمقصور هو «الرقيب» قصرا إضافيا باعتبار غرضه وقصرا إفراد باعتبار حال المخاطب، فليس الشهيد على القوم قبل رفع سيدنا عيسى وبعده إلى الله. فكان هذا الزخم من التأكيد على متن جملة مبدوءة بفعل ماضي ناقص متصل به اسمه ضمير في محل نصب ثم أتبع بضمير فصل لا محل له من الاعراب في قول من أقوال النحاة ومبتدأ لجملة إسمية هي خبر لـ كان وكلمة «الرقيب» خبر لاسم كان أو خبر لـ «أَنْتَ» ولو وردت الجملة في غير القرآن «**كُنْتَ الرَّقِيبَ**» لجرى فيها التأكيد باعتبار تعريف المسند، إذ اسم سبقته

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 3/ 117،115.

«ال» فأفادته التعريف، فصار معرفة بعد أن كان نكرة لكن تضاعف التأكيد بضمير الفصل وتعريف المسند[1].

قصر المبتدأ على الخبر

النمط: مبتدأ ضمير منفصل + خبر+ ظرف مكان + مضاف إليه

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية 18].

إعراب الجملة

الواو: استئنافية أو حالية، **هو**: ضمير منفصل مبني على الفتح وهو مبتدأ، **القاهر**: خبر «هو» مرفوع بالضمة، فوق: ظرف مكان منصوب على الظرفية متعلق بالقاهر وهو مضاف، **عباده**: مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الكسرة وهو مضاف، **والهاء**: ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر مضاف إليه ثان، **وهو الحكيم الخبير**: معطوف بـ «الواو» على «هو القاهر» ويعرب إعرابه، **الخبير**: صفة للحكيم مرفوع مثله.

لما يبن الله عز وجل قدرته على التصرف في الكون أعقبه بذكر صفات الله هو القاهر فكل ما عداه مقهور وهو الأعظم «وأن العالم مقهورون ممنوعون من بلوغ مرادهم بل يفسرهم ويخبرهم على ما يريده هو تعالى»[2]، فهو سبحانه ذو صفة الحكمة والخبير بالأمور كلها.

ولقد قال صاحب التحرير والتنوير:«قد أفاد قوله تعالى:﴿ **وهو القاهر**﴾ تعريف الجزأين القصر، أي لا قاهر إلا هو، لأن قهر الله تعالى هو القهر الحقيقي الذي لا يجد المقهور منه ملاذا لأنه قهر بأسباب لا يستطيع أحد خلق ما يدافعها»[3]، فهو قصر

(1) جامع الدروس العربية مصطفى الغلاييني ص138.

(2) البحر المحيط، أبو حيان، 4/ 457، 458.

(3) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 3/ 164، 165.

صفة على موصوف فالصفة القهر والموصوف هو الله المشار إليه بالضمير «هو» وهو المقصور عليه والقاهر المقصور قصرا حقيقيا باعتبار غرضه وقصرا تحقيقيا باعتبار حال المخاطب فلا أحد يتصور أن يكون قاهرا كهو سبحانه.

فقد انطوت الجملة الاسمية البسيطة على هذه المعاني فكان صدرها المبتدأ المعرف بالإضمار «هو ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ والخبر المحلى بـ «ال» «**الْقَاهِرُ**» فكان ذلك تأكيدا بتعريف الطرفين المسند والمسند إليه.

ضمير الفصل

النمط: ضمير فصل مبتدأ + خبر + نعت

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية 62].

إعراب الجملة

إن: حرف مشبه بالفعل وهو حرف نصب وتوكيد، **الهاء**: للتنبيه، **ذا**: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم «إن»، **اللام**: لام التوكيد المزحلقة، **هو**: ضمير الفصل مبني على الفتح فاصل بين اسم «**إن**» وخبرها، **القصص**: خبر «إن» مرفوع بالضمة، **الحق**: صفة «**للقصص**» مرفوع مثله بالضمة.

يخبر عز وجل أن القصة المذكورة في الوحي هي القصة الحقيقية لا سواها قال صاحب الإرشاد: «إن هذا أي قص من نبأ عيسى وأمه عليها السلام لهو القصص الحق دون ما عداه من أكاذيب النصارى»[1].

ثم أعقب أحقية القصة بما ورد في الوحي، نفى الألوهية عن غيره وأثبتها سبحانه وتعالى لذاته وبعد التخلية التحلية، ثم أعقب ذلك بصفات له هي من صفات كمال سبحانه فله العزة وله الحكمة.

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود 2/ 173

نلاحظ في هذه الآية قصر بضمير الفصل في موضعين، وقصر بالنفي والاستثناء، وسنقف مع ضمير الفصل لأنه المقصود وقد قال فيه صاحب التحرير «وضمير الفصل يفيد القصر أي هذا القصص لا ما تقصه كتب النصارى و عقائدهم»[1].

فهو قصر صفة على موصوف، فالصفة هي «القصص الحق» وهو المقصور والموصوف «هذا هو» هو المقصور عليه فجاء القصر ها هنا قصرا إضافيا باعتبار غرضه وقصر قلب باعتبار حال المخاطب، فهو يقلب اعتقاد المخاطب أن قصة عيسى هي ما رويت عندهم في التوراة والإنجيل بل القصص الحق ما رواه القرآن، أما الموضع الثاني من أساليب القصر بالضمير في قوله تعالى وهو العزيز الحكيم، فالعزة لله سبحانه وهو كذلك من باب قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا باعتبار غرضه وقصر إفراد باعتبار حال المخاطب.

وإنما جرى القصر الأول عن طريق الضمير في قوله تعالى «**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**» جملة اسمية مبدؤة بـ «**إن**» التي هي للنصب و التوكيد فنصبت اسم الإشارة «**ذا**» وكان اسما لها ورفعت «**الْقَصَصُ**» وكان خبر لها وتخلل اسم «إن» وخبرها ضمير «هو» المسبوق بلام المزحلقة ليفيد تأكيدا على التأكيد الذي أجرته «إن» فكان الضمير وما بعده وباعتبار أنه ضمير فصل لا محل له من الإعراب فكان «**الْقَصَصُ**» جملة اسمية في محل خبر لاسم «**إِنَّ**» وكان «**إِنَّ**» **الْقَصَصُ** خبرا لـ «**هُوَ**».

والتركيب الثاني في جملة هو قوله: «**الْقَصَصُ الْحَقُّ**» فهو صفة و موصوف إذ تبعت الصفة الموصوف في الحركة الإعرابية.

أما الجملة الثانية قوله تعالى: «**وَإِنَّ اللهَّ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**» حالها كحال الجملة المدروسة سابقا فهي جملة اسمية مبدوءة بحرف شبيه الفعل تفيد التأكيد والنصب ثم اسم الجلالة بعده اسما له منصوب و «العزيز الحكيم» خبر لـ «**إِنَّ**» وتخلل الاسم

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 2/ 266، 267.

وخبر ضمير الفصل واللام المزحلقة ليزيد التأكيد تأكيدا بـ «إِنَّ» و ضمير الفصل وتعريف المسند.

النمط: إن + اسمها ضمير + ضمير فصل + خبر إن مضاف + مضاف إليه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: الآية 116].

إعراب الجملة

إن: حرف مشبه بالفعل، **والكاف**: ضمير في محل نصب اسم «**إن**»، **أنت**: ضمير فصل لتأكيد **علام**: خبر إن مرفوع، **الغيوب**: مضاف إليه مجرور.

تتضمن الآية سؤال من قبل الله تعالى لعيسى ابن مريم والله أعلم بالجواب «**أأنت**» دعوت القوم أن يتخذوك إلها دون الله، فكان جواب النبي الصالح لو كنت ذكرت هذا فأنت تعلمه، فهو يثبت لله عز وجل صفة العلم بكل الحوادث، ثم يقر عليه صلوات الله وسلامه بضعفه أمام الله عز وجل وخضوعه إذ قال: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾. ليختم الله عز وجل هذه المحاورة بأسلوب قوي الدلالة والتخصيص إذ يقول: «إنك أنت علام الغيوب» قال صاحب التحرير والتنوير: «وقد جمع فيه أربع مؤكدات وطريقة حصر، فضمير الفصل أفاد الحصر، وإن وضعية الحصر، وجمع الغيوب، وأداة الاستغراب»[1].

فالقصر المستفاد ها هنا قصر صفة على موصوف فالموصوف هو الضمير «أنت» الدال على الله عز جل وهو المقصور عليه و «علام الغيوب» صفة وهو المقصور فهو قصر حقيقي تحقيقي إذا ما تعلق بعلم الله، أما إذا تعلق بعلم عيسى ابن مريم فهو قصر إضافي باعتبار غرضه، وقصر إفراد باعتبار حال المخاطب.

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 3/ 112، 115.

وجملة القصر هاهنا جملة اسمية سبقت بـ «إِنّ» فأجرت الضمير الذي يليها في محل نصب ورفعت «عَلَّامُ» ليكون خبرا لها، و هذا إذا قلنا بأن الضمير الفصل «أنت» لا محل له من الإعراب وإذا جعلنا له محلا فقد جاءت الجملة الاسمية «أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» في محل رفع خبر فتعاضد التوكيد بـ «إِنّ» والضمير الفصل وتعريف المسند.

النمط: أن + اسمها ضمير + ضمير فصل +خبر

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: الآية 44].

إعراب الجملة

الواو: عاطفة أن حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل **والهاء** ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب اسم «أن» **هو**: ضمير فصل لا محل له أمات في محل رفع خبر «أن» **وأحيا**: معطوفة على أمات وتعرب إعرابها.

في الآيات نسب عز وجل لذاته والإماتة والإحياء فلا محي إلا الله عز وجل وكذلك لا مميت غيره سبحانه قال صاحب الإرشاد «لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن أثر القائل نقض البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة»[1].

فكانت هذه المعاني الكامنة في أسلوب قصر عن طريق ضمير الفصل في قوله تعالى: «**هو أمات وأحيا**» وضمير الفصل للقصر على نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: الآية 43] فهو قصر صفة على موصوف فالصفة هي الإماتة والإحياء وهي المقصورة والمقصور عليه هو الضمير «هو» العائد على الله عز وجل وهو الموصوف وقد جرى القصر هاهنا قصرا إضافيا باعتبار غرضه وقصر قلب باعتبار حال المخاطب ردا على أهل الجاهلية الذين يسندون الإحياء والأمانة إلى الدهر فقالوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: الآية 24].

(1) أبو السعود6/ 232.

وجملة القصر ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ قد حملت على متنها أسلوب قصر مستهل بـ «أَنَّ» الناصبة المؤكدة و كان ضمير الغيبة «الهاء» ضمير متصل في محل نصب اسم «أَنَّ» والمتبوع بضمير غيبة منفصل «هُوَ» ضمير فصل أو عمدة أو مبتدأ لخبر بعده.

«أمات» خبر لاسم «أَنَّ» أو للضمير المنفصل الذي سبقه.

«أَمَاتَ وَأَحْيَا» اسمان تخللهما حرف عطف ليجعل الثاني تبعا للأول و تجري عليه الأحكام الإعرابية للأول.

النمط: إن + اسم إن + ضمير متصل + ضمير منفصل + خبر

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: الآية 3].

إعراب الجملة

إن: حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل، **شانئك**: اسم «إن» منصوب بالفتحة والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ **الأبتر**: خبر «هو» ضمير مرفوع بالضمة.

في السورة الكريمة يخبر الله عز وجل عن إنعامه على عبده ورسوله، إذ أعطاه من النعم الخير الكثير والنهر العظيم في الجنة، فيأمره بشكر هذه النعمة بالتقرب إليه سبحانه بشتى القربات بالصلاة و نحر البدن، فالذي يسيء إليك ويرميك بما لا يليق، هو العالق به تلك الصفات وهو «العاص بن وائل السهمي» فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: الآية 3].

قال صاحب الإرشاد: «إن شانئك» أي مبغضك كائنا من كان «هو الأبتر»، الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر»[1].

(1) أبو السعود 6/ 599.

قال صاحب التحرير:«اقتضت صيغة القصر إثبات صفة الأبتر لشانئ النبي ﷺ ونفيها عن النبي ﷺ وهو الأبتر بمعنى الذي لا خير فيه»[1].

فالقصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: الآية 3]. قصرا إضافيا باعتبار غرضه وقصر قلب باعتبار حال المخاطب قال صاحب التحرير: «فحصل القصر في قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبتر على الموصوف وهو شانئ النبي ﷺ قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب، أي هو الأبتر لا أنت».

فجملة «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» جملة اسمية مستفتحة بحرف توكيد ونصب فنصبت الاسم الأول ليصير اسمها ورفعت الثاني ليصير خبرا لها حالة إهمال ضمير الفصل أما حالة اعتباره فالخبر ها هنا جملة اسمية وجاء اسم إن هاهنا مضافا ليضيف شيوع الاسم ويخصه بالرسول ﷺ. فتعاضد التوكيد هاهنا مع بعضه بـ «إِنَّ» وضمير الفصل وتعريف المسند.

(1) التحرير والتنوير، المجلد 12/ 575-577.

مصادر ومراجع

1) القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى(ت982هـ)، (د.ت)، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان.

3) التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.

4) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، عبد الله محمد الأنصاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1665ه، 1966م.

5) جامع الدروس العربية، مصطفي الغلابيني، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2010م.

6) شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت643هـ)، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، مراجعة: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

7) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (773هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1423هـ- 2003م.

8) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1354هـ.

9) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين يوسف بن هشام الأنصاري (ت761هـ)، تحقيق: أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1421هـ-.

10) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، ابن يعقوب المغربي (ت1110هـ)، مطبعة الحلبي، (د.ت).